بريد الجمعة

أثر
المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الجمعة ■ ٢٢ مارس ٢٠٠٢ ■

يكتب: عبدالوهاب مطاوع

# البحث عن السعادة

اكتب إليك هذه الرسالة من المهجر، ولا أرمي من ورائها إلى البحث عن حل لمشكلة، ذلك أن مشكلتي عسيرة الحل، وليس لها إلا حل واحد تحول دونه أسباب منها الأدبية والاجتماعية والمادية وغير ذلك، ولذا سأدخل إلى الموضوع مباشرة: تحتفل مصرنا الغالية وكثير من دول العالم بما يسمى عيد الأم المثالية سنويا، ويدفعني ذلك إلى أن أتساءل: هل هذه السيدة التي كافحت من أجل أولادها ألم تكن زوجة قبل أن تكون أمًا، إذن فهل كانت هذه السيدة المثالية في الأمومة مثالية أيضا في حياتها الزوجية ،وهل يكفي لكي تحصل احدى السيدات على لقب المثالية أن يقتصر ذلك على دورها كأم فقط أم لابد أن تكون أيضا مثالية في الحياة الزوجية او هل لابد أن تجمع بصدق وإخلاص بين المثالية في الحياة الزوجية والمثالية في الأمومة. وإذا أردنا أن نجد هذه الزوجة المثالية فما هي الصفات التي يجب أن تكون عليها؟.. وهل نعتقد أننا سنجد الكثيرات ممن يمكن أن يقال عنهن انهن زوجات مثاليات؟.. وهل من الأصوب عمل نفس الاجراءات لانتخاب إحداهن لتحوز شرف حمل لقب المثالية حتى تحتذى بها غيرها ولعل ما ورد في هذا الشأن يثير موضوعا اخر على علاقة وطيدة به وهو موضوع «الحب في الحياة الزوجية» وفي هذا المجال أرى أن هناك عدة أسئلة تحتاج إلى الاجابة عليها:

أولا: ما هو الحب «في الحياة الزوجية» ما هو معناه الحقيقي وما هي علاماته؟

ثانيا: لتكون الحياة الزوجية سعيدة ومستقرة من بدايتها وحتى نهايتها.. هل يجب أن تتبلور عاطفة الحب بوضوح بين الزوج والزوجة على قدر المساواة أم يكفي أن تكون من طرف واحد

ثالثا: هل إذا بدأت الحياة الزوجية بالحب المتبادل يمكن أن تستمر كذلك حتى النهاية أم تنهار السعادة والاستقرار عند هبوب أول عاصفة أو مجرد متاعب عابرة لا يخلو منها منزل أو عائلة؟

رابعا: يقال إن الحب يصنع المعجزات.. فهل هذا صحيح في الحياة الزوجية ؟ ..إنني أرجو الا تأخذك الدهشة إذا علمت أن كاتب هذه الرسالة قد جاوز التسعين من العمر وزوجته جاوزت الثمانين من عمرها وان الحياة الزوجية بينهما قد تعدّت نصف القرن، ومع كل ذلك فمازلت أبحث وأسأل عن مواصفات الزوجة المثالية وافتقد الحب وأرجو في ختام هذه الرسالة أن يتسع صدرك وتسمح لكثير من الباحثين الاجتماعيين وخلافهم بأن يدلوا بدلوهم في هذا الشأن!

## ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لا يدهشني تساؤلك عن الحب وافتقادك له في حياتك الزوجية وقد جاوزت التسعين من العمر وجاوزت زوجتك الثمانين. فالعواطف الحارة لا تقاس بالسن. ولا عمر لها ،كما ان الإنسان يحتاج إلى الدفء العاطفي في كل مراحل العمر ولقد يتزايد احتياجه إليه وإلى انس الروح.. وركون القلب إلى من يحب لديه كلما تقدم به العمر، والأمثلة عديدة على ذلك في الماضي وفي الحاضر.. ومن اشهرها ما رواه الأديب الفرنسي فيكتور هوجو عن العاطفة القوية التي ربطت بين الأديب شاتوبريان.. والسيدة ريكاميه المحبة للثقافة والفنون في القرن التاسع عشر، فلقد ربطت بينهما عاطفة قوية في شبابهما، ثم مضت بهما السنون واصبح الاثنان شيخين متهدمين، واصيبت السيدة ريكاميه بالعمى، واصيب شاتوبريان بالشلل، ومع ذلك فلقد ظل يأمر خدمه بأن يحملوه عصر كل يوم إلى دبت حبيبته العمياء ليضعوه إلى جوارها ،وكان الأسى يملأ قلبي . كما قال هوجو . كلما رأيت يدها تبحث عن يد الشيخ الذي فقد الإحساس باللمس حتى إذا عثرت عليها ربتت عليها في حنان شديد،

ومن أحب هذه الأمثلة إلى قلبي قصة الروائية الانجليزية كاترين كوكشن وزوجها اللذين عاشا معا متحابين متعاطفين بشد كل منهما ازر الأخر ٤٨ عاما، فشهدت حياتهما العديد من المحن والخطوب وفقدت الزوجة في شبابها ثلاثة أطفال رضع أنجبتهم ولم يصمدوا لأنواء الحياة، وأصيبت بالاكتئاب الشديد لمدة ١٥ عاما ساندها خلالها زوجها المحب واعانها على مقاومته والشفاء منه.. وشجعها على احتراف الكتابة الأدبية لكي تنجو من الانهيار العقلي الذي يهددها بالانتحار.. وراح يحلها كل يوم على أن تكتب وتنشر حتى ذاع اسمها واصبحت من اشهر الروائيين الانجليز، ووقف إلى جوارها يمرضها ويرعاها في خمس أزمات قلبية شديدة اصيبت بها.. ثم رحلت عن الحياة وهي في الحادية والتسعين من العمر في يونيو عام ١٩٩٨ وهو في السابعة والثمانين من العمر.. وفي كامل حيويته، فما أن انتهت مراسم الوداع حتى تدهورت صحته فجأة ونقل إلى المستشفى ورحل عن الحياة بعد ١٨ يوما فقط من رحيل محبوبته.. وقال الأطباء الذين اشرفوا على علاجه إنه لم يمت بالأزمة القلبية التي فاجأته.. وإنما بانكسار القلب حزنا على رحيل شريكة الحياة.. وقال الأصدقاء المقربون إنه بعد غيابها عن الحياة لم يعد راغبا في شيء سوى في أن يكون معها حيث ذهبت!

ولا عجب في ذلك لأن الشيخوخة الحقيقية ليست في تقدم العمر واعتلال الصحة، وإنما في الإحساس العميق بأن العمر قد انتهى ومات الأمل وضاعت كل الغايات، كما انها أيضا في جفاف الحياة وخلوها من نبض المشاعر ودفء الصحبة ،والحق انك تطرح في رسالتك هذه مفارقة مهمة بالفعل عن الاهتمام بالأم المثالية دون الزوجة المثالية.. مع أن كلا منهما تستحق الاهتمام والتكريم والإشادة ، ولقد اجتهد في الإجابة على تساؤلك فاقول لك إن الزوجة المثالية تكون غالبا أما مثالية لأبنائها بالتبعية وإلا فقدت جانبا اساسيا من جوانب التميز كزوجة.. وعنصرا جوهريا من عناصر إعجاب زوجها بها وسعادته معها.. في حين قد لاتكون الأم المثالية زوجة مثالية بالضرورة لزوجها.. وربما كانت في بعض الأحيان مثالا سلبيا لها في علاقتها بزوجها ، ولقد تعوض تعاستها في الحياة الزوجية بتكريس كل عطائها لأبنائها دون زوجها.. ونفس الحال قد يصدق على الأب المثالي لأبنائه، والزوج السيء لعشيرته في نفس الوقت، وفي كل الأحوال فإن العاطفة القوية ضرورية لتجميل الحياة.. وتيسيرها على شركاء الحياة في كل مراحل العمر.. وما تقوله الكاتبة الامريكية دوروثي ديكس من ان سعادة الرجل في الزواج تتوقف على مزاج زوجته النفسي والعاطفي أكثر من اى شيء آخر صادق إلى حد كبير، فلقد تتمتع الزوجة كما تقول الكاتبة بكل فضيلة.. لكن كل فضائلها تصبح بلا قيمة إذا كانت سيئة الطبع حادة محبة للنقار جافة المشاعر

فإذا كنت تتساءل بعد ذلك عن المعجزات التي قد يصنعها الحب في الحياة الزوجية فإن اعظمها هي السعادة التي تطيل العمر وتؤخر الشيخوخة وتتحاوم عوامل الزمن وتعين الإنسان على احتمال الام الحياة.